مجلة الرائد

العدد : ٢٤١ الموافق في ذو الحجة ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/٢ ميلادي

عنوان المقال : المفتي والمستفتي .. قواعد وضوابط (★)	الكاتب : د. محمد الصغير

ترتكز عملية الفتوى على محورين أساسيين وهما : المفتي والمستفتي . وكلا الكلمتين مشتق من كلمة " أفتى " فالأول : من يذكر الحكم الشرعي ويفصله ، والثاني : من يسأل عن هذا الحكم . ولكلٍ قواعد وضوابط يمكن إجمالها في الآتي :

القـــواعـــــــــد

أولاً : خطورة الفتوى :

التصدي للفتوى والرغبة في النسبة إليها من مستجدات القرون المتأخرة ، فقد كان الأوائل يهربون من الفتوى كما يُهرب من الضواري . ولا عجب في أن ترى الآن من يَدُسُّ أنفه في معضلة علمية - بضاعته فيها مزجاة - لو عرضت على عمر ابن الخطاب ﷺ لجمع لها أهل بدر ، وحقاً ما قيل : « **أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ** » ، ويكفي أن نذكر أن مالكاً بن أنس كان إذا سئل عن تفسير رؤيا قال : « أبالنبوة يلعب ؟ » يَعُدُّهُ من العلم .

ثانياً : مناهج الفتيا في القضايا المعاصرة : تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- **منهج التضييق والتشديد** : وهو ما يعرف بالمنهج المتزمت ، ويمكن القول بأن الأخذ بفقه " الأحوطيات " هو السبب الرئيس لظهور هذا المنهج ، وقد قال الإمام الثوري : « العلم رخصة من عالم ثقة ، أما التشديد فيحسنه كل أحد » .

٢- **التساهل والتفريط** : وهو ما يعرف بالمنهج المتسيب ، ويعتبر ردة فعل لظهور المنهج الأول ، ولو عكست لأصبت أيضاً - فكلا طرفي قصد الأمور ذميم - وأهم أسباب هذا التسيب هو الآتي :

- السير في ركب السلطة من قبل علمائها الرسميين .
- الهزيمة النفسية - لدى البعض - أمام حضارة الغرب .

٣- **المنهج الوسط** : وهم أهل الاعتدال الذين تمسكوا بوسطية الإسلام وينبغي أن يصحح أن هذه الوسطية ، ليست وسطية زمان ولا مكان ، وليست من قبيل الوسطية العددية .

ثالثاً : المذهبية :

١- ليست المذاهب الفقهية محصورة في المذاهب الأربعة المشهورة ، وإنما بقيت دون غيرها لعدة أسباب ، منها : عناية التلاميذ أو طبيعة المكان مثلاً .

ولا يطالب المسلم بأن يكون على مذهب معين ، أما أن يتخصص فريق من طلبة العلم في دراسة مذهب بعينه ومعرفته والإحاطة به والتزام منهجه في التأصيل والفتوى فمطلوب للمحافظة على هذا التراث الفقهي ، كما حفظه لنا الأوائل .

٢- **أسباب الخلاف** بين المذاهب الفقهية :

نذكر أبرز هذه الأسباب :

▫ أن الشارع الحكيم ترك مساحة معينة تتلاقح فيها العقول ، وليس تتناطح فيها الرؤوس ، فقد يكون تنوع الرأي مقصداً من مقاصد الشريعة ، وعاملاً من عوامل المرونة فيها والربانية أيضاً .

▫ احتمال النص لكلا وجهتي النظر ، وأصحاب كلٍ على صواب كما في قوله ﷺ : « **لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ** ... » رواه البخاري ، فمنهم من صلى ومنهم من أخَّر ، ولم ينكر ﷺ على أحد .

▫ عدم جمع السنة كاملة في بداية الأمر ووجود أحاديث عند بعض الرواة لم تصل إلى أهل بلد آخر .

الضـــوابـــــط

أولاً : توصيف الفتوى : أمر بالغ الأهمية فلا تأخذ الفتوى حتى تقرأ صيغة السؤال ، والمستفتي مؤتمن على توصيفه ، ولا تُحلُّ له الفتوى حراماً ، ولا تُحرِّمُ على غيره حلالاً . قال رسول اللّه ﷺ : « **إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلا يَأْخُذْهَا** » رواه البخاري .

ثانياً : الفتوى تختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص (بقيود وشروط) .

ثالثاً : من تتبَّع رُخص المذاهب فقد اجتمع فيه الشر كله .

رابعاً : اختر من تثق بدينه وعلمه والتزم رأيه ولا تتسول على موائد المفتين .

خامساً : التحايل على الفتوى يوقع حتماً في الإثم ، كما كان شأن اليهود مع الصيد في السبت . قال الإمام ابن القيم : « أحسن المخارج ما خلص من المآثم ، وأقبح الحيل ما أوقع في المحارم » .

سادساً : النهي عن السؤال بقصد إحراج الغير أو الإشادة بالنفس .

عنوان المقال : المفتي والمستفتي .. قواعد وضوابط (★)	الكاتب : د. محمد الصغير

سابعاً : " **اللّه أعلم** " **حصن المفتي من الزلل** ، فقد سئل مالك عن أربعين مسألة أجاب عن ثلاث وقال في الباقي : اللّه أعلم .

ملاحظة:

★ هذه الصفحات ملخص محاضرة قيّمة ألقاها الدكتور محمد الصغير في الندوة الثقافية الشهرية التي أقيمت في المركز الإسلامي بتاريخ ٢٤ شوال ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢/١٢/٢٨م .